Introduction and delay in the poetry of Al-Baha Zuhair

Dr. Mustafa Nimr[*]
Dr. Bana Shbani [**]
Emran Ali Kanjo[***]

(Received 8 / 11 / 2023. Accepted 14 / 2 / 2024)

□ ABSTRACT □

Each structure has its own peculiarity in the creativity of poets, especially since these structures are built in a poetic language through which the poet destroys the standard language. To weave new systems that have an impact on the reader, The poet Al-Baha Zuhair is a poet who excelled in organizing his poetic compositions, and he wanted to break the standard level to reach a special poetics achieved by moving away from rigid linguistic rules, With every syntactic shift, a new meaning is created, and with every meaning, the poetic text becomes vibrant with creativity and emotional depth, The poet resorted to the details of the compositions and organized them according to distinct levels of creativity. He tried to reach new meanings by changing the order of the parts of these structures, He resorted to precedence and delay, and varied his levels, starting with presenting the predicate before the subject, passing through presenting the predicates and complements before the attributive parts, Also, prioritizing the subject before its verb, and phrasal sentences before the objects, and all of this was not arbitrary, but rather an intentional shift in the syntactic ranks.

The poet Al-Baha Zuhair varied the levels of change in the ranks. He introduced and delayed the nominal and verbal structures, and each type of these rank violations had a special transparency in indicating the meaning.

Keywords: shift, composition, presentation, delay.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **Professor of Rhetoric and Poetry at the Faculty of Arts and Human Sciences, Tishreen University, Latakia.**

[**] **Assistant Professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Human Sciences, Tishreen University, Latakia.**

[***] **Postgraduate student (PhD), Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Human Sciences, Tishreen University, Latakia. emran.kanjo@tishreen.edu.sy**

التّقديم والتّأخير في شعر البهاء زهير

د. مصطفى نمر [*]
د. بانا شباني [**]
عمران علي كنجو [***]

(تاريخ الإيداع 8 / 11 / 2023. قبل للنشر في 14 / 2 / 2024)

□ ملخّص □

لكلّ تركيب خصوصيّته في إبداعات الشّعراء، ولاسيّما أنّ هذه التّراكيب تُبنى بلغة شعريّة يحطّم بوساطتها الشّاعرُ اللغة المعياريّة؛ لينسج نظماً جديداً له أثره في القارئ.

والشّاعر البهاء زهير شاعرٌ أجاد نظم تراكيبه الشّعريّة، وأراد أن يخرق المستوى المعياريّ للوصول إلى شعريّة خاصّة يُحقّقها الانزياح عن القواعد اللغويّة الجامدة، ففي كلّ انزياح تركيبي تخلق دلالة جديدة، ومع كلّ دلالة يصبح المتن الشّعريّ نابضاً بالإبداع و بالعمق الشّعوريّ، ولجأ الشّاعر إلى أجزاء التّراكيب، وقام بالنّظم وفقاً لمستويات إبداعيّة مميّزة؛ إذ حاول الوصول إلى دلالات جديدة عبر تغيير رتب أجزاء تلك التّراكيب، فلجأ إلى التّقديم والتّأخير، ونوّع في مستوياته، بدءاً من تقديم الخبر على المبتدأ، مروراً بتقديم الفضلات والمتمّمات على الأجزاء الإسناديّة، وأيضاً تقديم الفاعل على فعله، انتهاءً بأشباه الجُمل على المفاعيل، وكلّ ذلك لم يكن اعتباطياً، بل كان انزياحاً قصدياً للرُّتب التّركيبيّة.

ونوّع الشّاعر البهاء زهير في المستويات التّغييرية في الرّتب، فقدّم وأخّر في التّراكيب الاسميّة والفعليّة، وكان لكلّ نوعٍ من تلك الخروقات الرّتبية دلالة خاصّة على المعنى.

الكلمات المفتاحيّة: الانزياح، التّركيب، التّقديم، التّأخير.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

[*] **أستاذ البلاغة وموسيقا الشّعر في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين ، اللاذقيّة، سورية.**
[**] **أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللاذقيّة، سورية.**
[***] **طالب دكتوراه ، قسم اللغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللاذقيّة، سورية.** emran.kanjo@tishreen.edu.sy

مقدّمة:

يُشكّل التّقديم والتّأخير وسيلة من وسائل الإبداع الشّعريّ، ولاسيّما أنّه تقديم موظّف غير عشوائي، وقد استعان الشّاعر البهاء زهير بهذه الظّاهرة، فرسم أجمل اللوحات الفنّيّة ؛ ولذا كان اختيار هذا البحث (التّقديم والتّأخير في شعر البهاء زهير)؛ لاكتنازه بكثير من أنواع ذاك الانزياح.

أهمية البحث وأهدافه

أهمّيّة البحث:

تتجلّى أهمّيّة البحث في رصد ظاهرة طالما استعان بها الشّعراء، فكان لكلّ شاعر خصوصيّة في نهلها، وكان البهاء واحداً ممّن جسّدوا هذه الظّاهرة بكلّ دقّة وإتقان، فأعطى المُتلقّي مجالاً لرحابة التّفاعل مع عبقريّة الشّعراء المخضرمين في تكثيف فاعليّة الانزياحات التّركيبيّة في شعرهم.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز جماليّة الانزياح التّركيبيّ المُتمثّل بالتّقديم والتّأخير، وإبراز دوره في تكثيف المعنى، ومنحه ألواناً شتّى من الشّعريّة.

منهج البحث:

نظراً إلى طبيعة البحث، فقد أفدنا من المنهج الوصفي الذي ساعدنا على تقصّي مواطن وجود هذه الظّاهرة في ديوان الشّاعر، ومن ثمّ دراستها وتحليلها.

الدّراسات السّابقة:

لكلّ عنوان دارسوه الذين يشكّلون نقطة انطلاق للاحقين، وقد أفاد البحث من مصادر ودراسات سابقة، منها: دلائل الإعجاز لـ عبد القاهر الجرجاني، وشعريّة العدول عن أصل التّركيب في روميّات أبي فراس الحمدانيّ – دراسة بلاغيّة، رسالة ماجستير إعداد ميساء محمّد خالد شيخ خميس، إشراف أ. د. مصطفى عبد الرّحمن نمر، وشعريّة الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن، رسالة ماجستير إعداد سعاد بولحواش، إشراف أ. د. محمّد زرمان.

وبناءً عليه، فقد انتظم البحث في مقدّمة عرّفت بالتّقديم والتّأخير، ومن ثمّ درس البحث التّقديم والتّأخير في شعر البهاء زهير، وذلك في عنوانين، الأوّل: التّقديم والتّأخير في التّركيب الفعليّ، والثّاني: التّقديم والتّأخير في التّركيب الاسميّ، وانتهى البحث بخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع.

مفهوم التّقديم والتّأخير :

التّقديم والتّأخير أسلوب بلاغيّ مهمّ في إرساء دلالة جوهريّة لها خصوصيّتها في المستويين النَّصّيّ والدّلاليّ، وبما أنّ الأكاديميّة العلميّة تفرض دقّة اصطلاحيّة، فمن الحريّ الوقوف على مفهوم التّقديم والتّأخير.

عرّف (الزّمخشري ت 538 هـ) التّقديم بقوله: " يُقال تقدّمه، وتقدّم عليه واستقدم وقدّمته وأقدمته، وقدّم قومه يقدّمهم، ومنه: قادمة الرّجل: نقيض آخرته، وقوادم الطّائر، وقدَّمته وأقدمته، فقدّم وأقدم بمعنى تقدّم، ومنه مقدّمة الجيش، ومقدَّمته: للجماعة المُتقدِّمة، والإقدام في الحرب " [1] .

[1] **أساس البلاغة ، الزّمخشري ، تح: محمّد باسل عيون السّود ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1998 م ، ج2/58 .**

وجاء في لسان العرب لـ (ابن منظور ت 711 هـ) ، يُقال : " القِدم والقدمة: السّابقة في الأمر، وتقدّم كقدم، وقدّم كاستقدم، تقدّم، وروى عن أحمد بن يحيى: قدم صدق عند ربّهم، فالقدم كلّ ما قدّمت من خير " [2] .

وقد ورد مفهوم التّأخير في كثير من الكتب، ومنها ما جاء لدى الزّمخشري حين قال: " ويُقال أخر، جاؤوا عن آخرهم، والنّهار يجرّ عن آخر (أليست ممنوعة من الصرف) فآخر، والنّاس يرذلون عن آخر فآخر، والسّتْرُ مثل آخرة الرّجل، ومضى قدماً وتأخّرَ أُخُراً، وجاؤوا في أُخريات النّاس ، ولا أُكلّمه آخر الدّهر ، وأُخرى المنون ، ونظر إليَّ بمؤخّرِ عينيه، وجئتُ أخيراً، وبأخرةٍ، وبعتُهُ بيعاً بأخرة؛ أي بنظرةٍ معنى ووزناً، وهي نخلة مئخار من نخلٍ مآخير " [3] .

وجاء في المعجم الوسيط " أخّر: تأخّر، والشّيء جعله بعد موضعه، والميعاد أصله تأخّر عنه جاء بعده، وتقهقر عنه ولم يصل إليه " [4] .

فالدّلالة اللغويّة تشي بتغيّر رتبة المقدَّم والمؤخَّر، وإعطائهما موضعاً مختلفاً عمّا هو في أساس وضعهما الأصليّ.

وقد اهتمّ دارسو النّحو والبلاغة بالتّقديم والتّأخير، وحدّدوا معنى كلّ منهما، فقد أشار سيبويه إلى ظاهرة التّقديم والتّأخير في باب (الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعول به)؛ إذ قال: " فإنْ قدّمت المفعول وأخّرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: (ضرب زيداً عبد الله)، لأنّك إنّما أردت به مُؤخّراً ما أردت به مُقدّماً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأوّل منه، وإنْ كان مُؤخّراً في اللفظ، فمن ثمّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدّماً، وهو عربيّ جيّد كثير كأنّهم إنّما يُقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم " [5] ، ولو دقّقنا في قول سيبويه لوجدنا مكانة خاصّة للتّقديم والتّأخير، وأنّهما ظاهرة لها أسبابها وأغراضها، فلا يجوز أن نقدّم أي شيء رتبته التّأخير إلّا لهدفٍ بلاغيّ، أو لإضفاء معنى لا تُقدّمه الرّتبة الأصليّة.

وقد سار النّحاة القدماء الذين جاؤوا بعد سيبويه على هديه في هذه القضيّة، ولعلّ ابن جنّي كان أكثر من توسّع في الحديث عن التّقديم والتّأخير، فأفرد فصلاً خاصّاً به في كتابه الخصائص، ذاكراً فيه كلّ ما يرتبط بالتّقديم والتّأخير من الجانب النّحويّ، من دون أن يتعرّض للأغراض والمعاني التي تنشأ عن هذه الظّاهرة، إلاّ أنّه قسم هذه الظّاهرة إلى ضربين: " أحدهما: ما يقبله القياس، والآخر: ما يسهله الاضطرار " [6] ، وجعل من النّوع الأوّل: تقديم الفعل على الفاعل والفعل، والظّرف، وتقديم الحال، وخبر المبتدأ، وخبر كان وأخواتها على أسمائها، كما بيّن المواضع التي لا يجوز فيها التّقديم والتّأخير، ومنها: تقديم الفاعل وما أقيم مقامه على الفعل، والصّلة على الموصول، والصّفة على الموصوف، ولا المبدل على المبدل منه ، والمضاف إليه على المضاف ، وجواب الشّرط والقسم على الشّرط وغير ذلك المواضع [7] ، ولم يذكر شيئاً عن الضّرب الثاني ، ما يسهّله الاضطرار، ولعلّ ذلك ممّا تستدعيه البلاغة والسّياق.

ونجد أيضاً معنى التّقديم والتّأخير لدى عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه (دلائل الإعجاز) حين رأى أنّه : " باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن، واسع التّصرّف ، وبعيد الغاية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي لك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثمّ تنظر ، فتجد سبب أن راقك ، ولطف عندك أن قدّم فيه شيئاً ،

---

[2] لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر، بيروت– لبنان، د.ت، مادّة (قدم) .

[3] أساس البلاغة ، الزّمخشري ، ج22/1 .

[4] المعجم الوسيط ، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، مكتبة الشّروق الدّوليّة ، القاهرة – مصر ، ط4 ، 1425 هـ - 2004 م ، ص8 .

[5] الكتاب، سيبويه، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط3 ، 1408 هـ - 1988 م ، ج34/1 .

[6] الخصائص ، ابن جنّي ، تحقيق محمّد عليّ النّجّار ، المكتبة العلميّة ، د.ت، ج382/2 .

[7] يُنظر : المصدر السّابق ، ج382/2-390 .

وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان " [8] ، مؤكّداً أهمّيّة هذه الظّاهرة، ودورها في المستوى الإبداعيّ ، فقد جعل الجرجانيّ للتّقديم والتّأخير وظائف كثيرة، منها : زيادة الحسن على الكلام ، وزيادة في بلاغته ، مؤكّداً أنّ عمليّة التّقديم والتّأخير ليست عشوائيّة اعتباطيّة، بل مقيّدة بشروط، متّفقاً مع السّكّاكي وغيره من النّحويّين في ذلك [9].

ويشكّل التّقديم والتّأخير أحد أبرز الظّواهر الأسلوبيّة التي تعجُّ بالجزئيات المتغيرة بحسب موقعها في التركيب، فأي تغيير في أيّ موضع لجزئيّة من الجزئيّات يؤدي إلى إعطاء معانٍ جديدة، فالتّقديم والتّأخير عدول عن الأصل الذي تُبنى عليه الجمل، ففي الجمل الاسميّة نجد المبتدأ صاحب الصّدارة في الجملة، يليه الخبر، ثمّ المتمّمات والفضلة، أمّا في الجملة الفعليّة فنجد الفعل صاحب الصّدارة يليه الفاعل ثمّ المتمّمات والفضلة، وعليه " فإنّ التّقديم والتّأخير هو مخالفة عناصر التّركيب القواعدي الأصلي الأوّل في السّياق، فيتقدّم ما الأصل فيه أن يتأخّر، ويتأخّر ما الأصل فيه أن يتقدّم، والحاكم للتّرتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان التّركيب لازماً أو غير لازم " [10] .

وتشكّل الرّتبة نمطاً ثابتاً حين تكون رتبة محفوظة، لكنّ العدول يسحب من التّركيب نسقه النّحويّ، ويعطيه نسقاً جديداً بتبديل مواقع الوحدات المعجميّة في بنائها التّركيبيّ، وقد فصّل الجرجانيّ في هذه الظّاهرة، وأوضح أنّ هناك نوعين للتّقديم والتّأخير، هما: " **تقديم على نيّة التّأخير:** وذلك في كلّ شيء أقررته مع التّقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل، كقولك: (منطلقٌ زيد)، و(ضرب عمراً زيدٌ)، معلوم أنّ (منطلق) و(عمراً) لم يخرجا بالتّقديم عمّا كانا عليه، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً، كما يكون إذا أخّرت .

و**تقديم ليس على نية التأخير:** ولكن على أن تنقل الشّيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابه، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبراً له، فتقدّم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق، إذ تقول مرّة : (زيدٌ المنطلقُ)، وأخرى (المنطلقُ زيدٌ) " [11] .

كما يُشكّل التّقديم والتّأخير إجراءً بنيويّاً خاصّاً؛ إذ إنّ الخروج عن رتبة الجملة " يمثّل نوعاً من الخروج عن اللغة النّفعيّة إلى اللغة الإبداعيّة " [12] ، ما يجعل من التّقديم والتّأخير بنية فكريّة قادرةً على توليد دلالة ثريّة وعمق فكريّ، وهذا يجعلنا أمام تعميق الإحساس بالتّجربة الشّعوريّة التي ينبض بها النّصّ؛ إذ " ليس العقل هو المتحكّم الوحيد بالخلق والتّلقّي الشّعريّ، وحدة العاطفة أيضاً تمارس دورها في هذا السّياق، ولذلك يصبح من المثمر على المستوى البلاغيّ أن نقيم تمييزاً بين النّظام العقليّ والنّظام العاطفيّ للكلمات " [13] . وممّا سبق نرى أنّ علماء النّحو واللغة جعلوا التّقديم والتّأخير ضرورة يقتضيها المعنى، ويفرضها السّياق في شروط معيّنة.

---

[8] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، قرأه محمود محمّد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط5 ، 2004 م، ص106 .

[9] يُنظر : مفتاح العلوم ، السّكّاكي ، تح: نعيم زرزور ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط1 ، 1983 م ، ص161 .

[10] شعريّة العدول عن أصل التّركيب في روميّات أبي فراس الحمدانيّ – دراسة بلاغيّة ، رسالة ماجستير إعداد ميساء محمّد خالد شيخ خميس ، إشراف أ. د. مصطفى عبد الرّحمن نمر ، جامعة تشرين ، اللاذقيّة ، 2020–2021 م ، ص43 .

[11] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، ص106–107 .

[12] البلاغة والأسلوبيّة ، د. محمّد عبد المطّلب ، الشّركة المصريّة العامّة للنّشر ، لونجمان ، القاهرة – مصر ، 1994 م ، ص329 .

[13] بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، د. صلاح فضل ، مجلّة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ع164 ، أغسطس – آب ، 1992 م ، ص78 .

وندرك تماماً أنّ " بنية التّقديم والتّأخير تسمح بمنح الخطاب الأدبيّ سمات خاصّة تدخله في دائرة التّركيب الإبداعيّ الذي يتميّز بخصائص تضمن خروجه على الأصل، وتتيح له فنّيّة وجماليّة التّركيب بتغيير مواقع أجزاء الكلام داخل التّركيب النّحويّ " [14] ، ما يوسّع أفق المتلقّي، ويجعلنا أمام جماليّة خاصّة تحيل القارئ إلى دلالات ما كان لها أن تظهر لو التزم المبدع بالرّتبة الرّئيسة، وقيود التّراكيب المعتادة؛ إذ يهب التّقديم والتّأخير النَّصَّ وضوحاً معنويّاً، مُشكّلاً انزياحاً عن النّسق اللغويّ المعتاد، وهذا الأمر يهب المتلقّي لذّةَ تلقٍّ خاصّة؛ إذ " تنتج عمليّة التّجاذب بين الثّابت الذي يمثّل التّرتيب المعياري، والمتغيّر الذي تمثّله عمليّة التّقديم والتّأخير، وهذا التّجاذب يحفّز ذهن المتلقي إلى الكشف عن الغايات والدّلالات والجماليّات والأنساق عبر التّحليل، والبحث عن البنية الفكريّة التي بنت هذه العمليّة الأسلوبيّة، وعليه فالتّقديم والتّأخير بنية فكريّة قادرة على احتواء عمق فكريّ من جهة وتجربة شعوريّة من جهة أخرى " [15] ، وربّما يمكننا أن نعدّ " التقديم والتأخير شكلاً لغوياً يستبطن رموزاً وأبعاداً ودلالات في داخل التّركيب اللغويّ " [16] ، ولا ينحصر دور التّقديم والتّأخير على إبراز العناية بالمتقدّم فحسب، بل هو " يمثّل نوعاً من الخروج عن اللغة النّفعيّة إلى اللغة الإبداعيّة " [17] ؛ إذ نجد أنفسنا أمام ترتيب جديد لمفردات التّركيب النّحويّ، يرافقه تغيّر دلاليّ واضح، وقد أطلق جان كوهن على هذه الظّاهرة " الانزياح النّحويّ " [18] .

ولقد اهتمّ نقّاد العرب بالتّقديم والتّأخير الذي يصيب الرّتب غير المحفوظة، فالرّتبة " نظام في اللّغة لا في استعمالها، معرَّضةٌ للقواعد اللّغويّة من حيث الضّمير، ثمّ الاختيارات الأسلوبيّة من حيث التّقديم والتّأخير " [19] .

التّقديم والتّأخير في شعر البهاء زهير:

أوّلاً : التّقديم والتّأخير في التّركيب الفعلي:

التّركيب الفعلي نسيج نحوي أساسه العلاقة الإسناديّة بين الفعل وفاعله، وهذه العلاقة يشوبها تغيير في رتبة الإسناد، هذا التّغيير الذي يتأتّى من آلية تقديم الفاعل على فعله، أو ربّما نجد تغييراً في مكوّنات الجسد النّحوي للتّركيب، فيتقدّم أحد مكوّناتها على الآخر .

ويشكّل التّقديم والتّأخير في التّركيب الفعلي وظائف بلاغيّة جمّة أساسها إضفاء انزياح دلالي عميق ناجم عن ضرورة إبراز معنى لا يهبه التّركيب الذي خلا من هذا التّقديم والتّأخير؛ لذا لن نستغرب وجود أثر جميل للتّقديم والتّأخير في كثير من التّراكيب الفعليّة للشّاعر المخضرم البهاء زهير، وهذا ما نتبيّنه من نماذج شعريّة كثيرة في ديوانه؛ إذ نجد مرونة تصرّفه بتغيير رتبة أركان الجمل الفعليّة بدءاً من تقديم الفاعل على فعله، مروراً بتقديم الظّرف أو الجار والمجرور على المفعول به، وانتهاءً بأيّة زاوية تغيّر في رتبة أركان تلك الجمل الفعليّة، ومن ذلك ما جاء في قوله [20] :

---

[14] شعريّة الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن ، رسالة ماجستير إعداد سعاد بولحواش ، إشراف أ. د. محمّد زرمان ، جامعة الحاج لخضر – باتنة ، الجزائر ، 1433 هـ – 2012 م ، ص92 .

[15] شعريّة العدول عن أصل التّركيب في روميّات أبي فراس الحمدانيّ، ميساء محمّد خالد شيخ خميس، ص44 .

[16] الجملة الإنشائيّة بين التّركيب النّحويّ والمفهوم الدّلاليّ، أطروحة دكتوراه إعداد غيّاث بابو ، إشراف أ. د. إبراهيم البب ، جامعة تشرين ، اللاذقيّة ، 2009 م ، ص176 .

[17] البلاغة والأسلوبيّة ، د. محمّد عبد المطّلب ، ص329 .

[18] بنية اللغة الشّعريّة ، جان كوهن ، ترجمة محمّد الولي ومحمّد العمري ، دار توبقال للنّشر ، الدّار البيضاء – المغرب ، ط1 ، 1986 م ، ص176 .

[19] البيان في روائع القرآن ، د. تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1993 م ، ص34 .

[20] ديوان البهاء زهير، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، محمّد طاهر الجبلاوي، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط2 ، ص17 .

إلى عدلكن أُنهِي حديثي وأنتهي

فجودوا بإقبالٍ عليَّ وإصغاءِ

لقد قدّم الشّاعر الجار والمجرور (إلى عدلكم) على الفعل (أنهي)، وهذا التّقديم أساسه الاهتمام بالمقدّم، وإبراز أولويّة الجهة التي تمّ عندها إنهاء الحديث، فحرف الجر (إلى) يفيد انتهاء الغاية، فالشّاعر مهتمّ بإضاءة الوجهة التي قصدها في حديثه، وأتمّ هذا الحديث عندها.

ولا تكمن جماليّة تقديم شبه الجملة (إلى عدلكم) في إبراز أهميّة المقدَّم فقط، بل أسهم هذا التّقديم في جعل الفعل (أنهي) مؤخّراً للتّشويق وإثارة الخيال في الفعل الذي ابتدأه الشّاعر للوصول إلى ذاك العدل، وهذا الأمر يحرّض المتلقّي على التّأمّل، ويثير خياله في أفق آليّة الإنهاء أو الحدث الذي من المحتمل أن يقوم به الشّاعر للوصول إلى ذاك العدل، فهو عدل مُوَظَّف بإسناده إلى كاف الخطاب المحيلة إلى جماعة المخاطَبين، فالحديث بلغ النّهاية، ووجهة الحديث كانت من الأهميّة بمكان جعل الشّاعر يقدّم الجملة المكتنزة معناها على بقيّة أركان التّركيب الفعلي في البيت السّابق، ونجد التّقديم يأخذ منحى آخر في قوله [21] :

فكونوا رفاعيّين في الحبّ مرّةً وخُوضوا لَظى نارٍ لشَوقِيَ حمراءِ(حرّاء وليس حمراء)

لقد قدّم الشّاعر شبه جملة (لشوقي)، على النّعت (حمراء) وهذا ليفضح مقدار انفعاله أمام القارئ، ويجعل من ذاك الشّوق مفتاحاً للفت انتباه القارئ إلى عمق الحنين الذي يعتصر أعماقه المشتعلة، فكانت نار أشواقه حمراء تشير إلى شدّة اتّقادها.

إنّ اللون الأحمر كان صفة مشبّهة تشير إلى ثبات الصّفة في موصوفها، وثبات اللون الأحمر في تلك النّار، مما يشير أيضاً إلى حالة الاشتعال الملتهبة التي اتّصفت بها النّار، فكان تأخير النّعت وتقديم شبه الجملة نافذة للولوج في تعميق حالة الانفعال، وإبراز التّحدّي الذي صرّح به الشّاعر حين قال: (خوضوا لظى نار لشوقي حمراء)، وكأنّه يعرف أن لا أحد يستطيع أن يتحمّل وهج تلك النّار وشدّتها إلاّ هو، فالتّقديم أفاد إبراز قدرة الشّاعر، والمقدَّم حَمَل التّجربة الذّاتيّة مستنداً إلى التصاقه بياء المتكلّم، بما تحمل تلك الياء من خصوصيّة الغنائيّة التي تشير إلى التّجربة الذّاتيّة المعيشة من قبل الشّاعر البهاء زهير، ويقول الشّاعر في موضع آخر [22] :

جَزَى الله عنّي الحبّ خيراً فإنّه

به ازداد مجدِي في الأنامِ وعليائي

وصَيّر لِي ذِكراً جميلاً لأنّني

أحَسّن أفعالِيَ لِتُسْمَعَ أَسمَائِي

[21] **ديوانه ، ص17 .**

[22] **ديوانه ، ص17 .**

لو تأمّلنا البيتين السّابقين لوجدنا مكانين للتّقديم والتّأخير في التّركيب الفعلي وهما :

أولاً : جزى الله عنّي الحبّ خيراً

ثانياً : صيّر لي ذكراً جميلاً

فالتّركيب الأوّل : جزى الله عنّي الحبّ خيراً ، قدّم فيه الشّاعر الجار والمجرور (عنّي) على المفعول به (الحبّ)، وهذا ليبيّن سبب الجزاء الإلهي (عن الشّاعر)، وثمرة هذا الجزاء (خيراً)، ومستحقّ هذا الجزاء (الحبّ)، فتأخير المفعول به (الحب) جعل المتلقّي أمام استثارة جماليّة لأثر ذاك الحب الإيجابي والتّشويق إليه.

وفي التّركيب الثّاني نجد الفعل (صيّر) بما يحمل من دلالة التّحويل الجميل فكان مفعوله (ذكراً)، وهو مفعول به مؤخّر تقدّمته شبه الجملة (لي)، بما يحمل حرف اللام الجارّ من دلالة ملكيّة زادتها ياء المتكلّم رسوخاً، وزادها التّقديم أهميّة أراد الشّاعر إبرازها، ويتتالى التّقديم والتّأخير كما في قول الشّاعر [23] :

يَسّرَ اللهُ بلُقْيا ... كَ سرورَ الأَوْلِيَاءِ

وتلقَّى بقبولٍ ... حَسَنٍ فيكَ دُعَائِي

فقد أورد الشّاعر في هذين البيتين الشّعريين تقديمين هما:

1- تقديم شبه الجملة على المفعول به في قوله: (يسّرَ الله بلقياك سرور الأولياء).

2- تقديم شبه الجملة على المفعول به في قوله: تلقى بقبول حسن فيك دعائي.

فالتّركيب الأوّل حمل تقديم (بلقياك) ليبرز أهميّة اللقيا في إثارةٍ شعوريةٍ بتيسير من الله ليمنحَ الشّاعرَ سروراً مثاليّاً يشبه في ماهيّته سرور الأولياء.

وحمل التّركيب الثّاني تقديمين تجليّا في تقديم الجملة (بقبول)، (فيك) على المفعول به (دعائي) ليشوّق إلى الدّعاء المتأخّر، وما تأخير المفعول به (دعائي) إلاّ رغبة في إثارة التّشويق الجمالي والتّفكير في الأمر الذي تلقاه الله تعالى بالقَبول الحَسَن من الشّاعر، فالشّاعر أراد التّشويق إلى ما استجاب له الله به وهو دعاؤه.

ويكثر التّقديم والتّأخير في ديوانه، نحو قوله [24] :

يا غادرين ألمْ يكُنْ ... بيني وبينكمُ عهودُ

ظهرتْ وبانت لي قضيـ ... ـتكُمْ فما هذا الجُحودُ

يشكّل الفعل الماضي النّاقص (يكن) مع اسمه وخبره جملة فعليّة قوامها الفعل النّاسخ الدّاخل على الجملة الاسميّة (بيني وبينكم عهود)، وقد حوّل هذا الفعل النّاسخ جملة المبتدأ والخبر إلى جملة فعليّة، فقدّم خبر يكن (بيني وبينكم) على اسمه (عهود) ليبرز أهميّة تساؤل الشّاعر الاستنكاري (ألم يكن)، وسبب استنكاره (يكن بيني وبينكم عهود)، وهذا الأمر حوّل التّركيب إلى تركيب انفعالي حرص الشّاعر فيه على إبراز خيبة أمله واستنكاره مما فعله الغادرون.

[23] **ديوانه ، ص18 .**

[24] **ديوانه ، ص83 .**

ونجد الجملة الثّانية (ظهرت وبانت لي قضيّتكم) لنجد تقديم شبه الجملة على الفاعل، وهذا التّقديم أفاد توضيح جهة الإبانة، وهي الشّاعر ذاته، فهو كاشف القضيّة؛ إذ ظهرت القضيّة واضحة للشّاعر بتبجّلٍ بكل تفاصيلها ؛ لذا أبرز ذاتيّة الكشف والإبانة مستعيناً بياء المتكلّم وقدّم شبه الجملة الحاوي تلك الياء لإعطاء المعنى المراد، ونجد في قوله [25]:

مددتُ إليك يَدِي سَائِلاً أعيذُكَ في الحبِّ من مَوقِفِي

تقديم شبه الجملة على المفعول به، إذ قدّم (إليك) على المفعول به (يدي) ليشير إلى الوجهة التي مدّ إليها يده وهي المخاطَب، فقد مدّ يده إلى مخاطبه سائلاً، فوجد نفسه أمام ضرورة تقديم ثانٍ، وهو تقديم شبه جملة (في الحب) على شبه جملة (من موقفي)، ليبرز أهميّة احتواء ذاك الحبّ وماهيّته.

يعمل التّقديم والتّأخير على تكثيف الشّحنات الدّلاليّة في السّياق، وضخّ الشّحنات الانفعاليّة التي تبوح بنبضات عمق الشّاعر، لكنّنا نجد في ذاك التّقديم تغيّراً في المستوى التّركيبي للرّتب الطّبيعيّة، فمن المألوف أن يأتي في التّركيب الفعلي فعل ففاعله فمفعوله – إن وجد – أو مفاعيله – إن تعدّدت – ثمّ التّتمات والفضلات من نعوت وإضافات وما إلى ذلك من أركان التّراكيب الفعليّة، لكن الشّاعر انزاح عن هذا المألوف، ولم يكن انزياحه آليّة عبثيّة يرصف فيها حركات القصيدة وسكناتها، بل كان انزياحاً مُوَظّفاً كما في قوله [26] :

لا ترقبِ النَّجمَ في أمرٍ تحاولُهُ

فالله يفعلُ ، لا جديٌ ولا حَمَلُ

قدَّم الشّاعر الفاعل (الله) على الفعل (يفعل) محوّلاً الفاعل إلى مبتدأ وجملة الفعل (يفعل) في محل رفع خبر، وهذا بيّن عظمة المقدّم، ويشوّق إلى قدرته الفاعلة (يفعل).

ويشير البيت إلى ضرورة الابتعاد عن المنجّمين والمدّعين علم الغيب؛ لأنّ الله هو علاّم الغيوب، وجالي الكروب، فبه وحده المستعان، وله وحده القدرة المطلقة، وهذا يعكس الجانب الدّيني العقائدي الذي أراد الشّاعر إبرازه، مثبتاً في هذا التّركيب الوعظي إيمانه بقدرة الله لا سواه.

إنّ تقديم لفظ الجلالة يلائم تفخيمه من جهة، ويشوّق إلى قدرة الله من جهة أخرى، وهذا الأمر يجعل من سياق تغيير رتبة الفاعل التي من حقّها أن تكون في مرتبة تلي الفعل مؤشّراً دلاليّاً على جماليّة الاعتراف بعظمة الله والتّشويق إلى روائع قدرته.

فالشّاعر حين استعان بالتّقديم والتّأخير أراد رسم دلالة جميلة معبّرة، وهذا ما نراه في قوله [27] :

وها أنا قد كشفتُ إليك سِرّي

وهذا شرحُ حالِيَ والسَّلامُ

[25] **ديوانه ، ص166** .

[26] **ديوانه ، ص218** .

[27] **ديوانه ، ص240** .

يحمل التّركيب الفعلي (كشفت إليك سرّي) جماليّة خاصّة، منبعها تقديم الجار والمجرور (إليك) على المفعول به (سرّي)، فالمتلقّي عندما يقرأ (كشفت إليك) سيتشوّق إلى الأمر الذي تمّ كشفه، وحين يجد المفعول به (سرّي) يجد أنّ الأمر المكشوف هو السّرّ، وأنّ الشّاعر أصبح كتاباً مفتوحاً أمام مخاطَبه.

إنّ آليّة تغيير رتب أجزاء التّركيب الفعلي تجعل من التّركيب مولّداً دلاليّاً خصباً، فالتّقديم يحمل إشعار الاعتراف بأولويّة ما تمّ تقديمه، فعمليّة الكشف التي صرّح بها الشّاعر لم تكن إلاّ آليّة اعتراف بفعل سعى الشّاعر لتحقّقه لتحقيق استقرار نفسي سعت إليه الذّات الشّاعرة، ثمّ جعل المقدّم (إليك) ليعطي الكشف دقّة، ويحدّد وجهته، فالشّاعر كشف للمتلقّي شيئاً ما، وهذا يحرّض خيال المتلقّي في الأمر المكشوف، هل هو حقيقة ما، أم اعتراف ما، أم شيء آخر، وإذ به (سري)، وكأنّ الشّاعر بات صفحة واضحة أمام المخاطب حين أعلن له كلّ ما خفي من حقائق الذّات الشّاعرة، هذه الذّات السّاعية لتحقيق ذاتها في حقلها الانفعالي والوجودي في الآن ذاته.

ولو تأمّلنا قوله [28] :

كتاب رأيتُ الحسن فيه مفصّلاً

كما فصّل الياقوتَ بالدُّرِّ ناظمُهْ

لوجدناه يستعين بآليّة التّقديم والتّأخير في قوله: (فصل الياقوت بالدّر ناظمه)، فقد قدّم الجار والمجرور (بالدّر)، والمفعول به (الياقوت) على الفاعل (ناظمه)، وهذا يشوّق إلى هذا الفاعل، مع علم المتلقّي به لدلالة السّياق عليه؛ لأنّ من يفصل الياقوت هو ناظمه، ثمّ نجد أنّ تقديم الياقوت يشير إلى وقع هذا الياقوت في السّياق التّشبيهي، وكأنّ المحبوب بنفاسة الياقوت نفسه، جميلٌ جماله، غالٍ غلاءَه ، فحسن المحبوب منظم كحبّات الياقوت في تناسقها، وجماليّة تموضعها التي رسمها المبدع في رصف تلك الحبّات بعضها إلى بعض.

لقد أفاد التّقديم هنا زاوية غير مألوفة، وهي الزّاوية التّفضيليّة التّشبيهيّة، فقد قدّم الياقوت (المفعول به) ليبيّن حسن المحبوب، وأخّر الفاعل (ناظمه) لأنّه مهتمّ بالدّر أكثر من صانعه، وبالمحبوب الحسن أكثر من تفاصيل ذاك الحسن، وكأنّه خبير في قراءة الحسن، ويهمّه إظهار جماليّة ذاك الحسن وليس حروفه المنفصلة، وبالجماليّة نفسها يرسم كثيراً من أبياته، نحو قوله [29] :

وهل أبقت لِيَ الأيّامُ دَمعاً فيسعدني به الجفنُ الشَّقِيُّ

قدّم الشّاعر الجار والمجرور (لي) على الفاعل (الأيّام)، فغير في رتبة التّركيب الفعلي، وهذا التّغيير جعل المعنى عميقاً مفعماً بفداحة حزن الشّاعر (هل أبقت لي الأيّام دمعاً)، وكأنّ دموع الحزن غلبت على دموع الفرح، ونفدت من كثرة مواقف الألم، فجاء تقديم شبه جملة (لي) ليؤكّد ذاتيّة التّجربة، ومعاناة الشّاعر في ميدان الحياة، ثمّ أخّر الفاعل (الأيّام)؛ ليبرز هذا الجاني الذي لا ينتظر منه الشّاعر إلاّ مزيداً من القهر والعذاب والمعاناة.

[28] **ديوانه ، ص240 .**

[29] **ديوانه ، ص294 .**

ونلاحظ في أغلب مواقع التّقديم والتّأخير في التّراكيب الفعليّة محاولة الشّاعر تقديم الحروف الجارّة الدّالّة على الملكيّة مثل (اللام)، وتقديم ضمير المتكلّم المفرد (الياء) للإشارة إلى خصوصيّة التّجربة الشّعريّة المعيشة، وإبراز خوضه غمار تلك التّجربة، مما يضفي على شعره مسحة من الغنائيّة الشّفّافة التي تبوح بعمق مشاعره.

وهذا الأمر نجده لدى الشّاعر في أبيات شعريّة كثيرة ، أفصحت عن تلك الذّاتيّة التي أراد إبرازها حين قدّمها، لكنّها لم تكن الوحيدة، بل استعان بغيرها نحو قوله [30] :

يحُقُّ لكم هذا التَّصَلّفُ كُلُّهُ لعلمِكُمُ وجْدِي بكم وغَرَامِي

فقد قدّم الشّاعر شبه جملة (لكم)، لكنّه لم يقصد إبراز تجربة المخاطَب، بل أراد تعميق تجربته هو، والدّليل قوله: (لعلمكم وجدي بكم وغرامي)، فتقديم شبه جملة (لكم) أعطى مصداقيّة وجهة التّجربة، فقدّم الجار والمجرور على الفاعل (هذا)، فقد جاء الفاعل اسم إشارة، وكان (التّصلّف) بدلاً من اسم الإشارة، إنّ الفاعل المؤخّر يشوّق إلى التّفكير في الفاعليّة، وتأمل مَن قام بالفعل أو اتّصف به، فالأحبّة من الطّبيعي أن يتصلّفوا أمام عشق كبير يكنّه الشّاعر لهم.

يبدو الشّاعر أمامنا إنساناً مرهفاً جميل العاطفة صادقاً في إبراز أحاسيسه، وتعميق تجربته الشّعوريّة؛ لأنّ الشّاعر نابض بالحبّ، مكتنز بجماليّة ذاك الحبّ، ولن نغالي إن قلنا: إنّ الشّاعر يدور في فضاء الوجدان، ويسبح في أفق حبّه وهيامه، لذا نجد استناده إلى التّركيب الفعلي، مُعْمِلاً فيه أدوات التّقديم والتّأخير، نحو قوله [31] :

حفظنا لكم وُدّاً أضعتم عهودَهُ فشتّانَ في الحالَيْن نحنُ وأَنْتُمُ

فقد قدّم شبه الجملة (لكم) على المفعول به (ودّاً) ليشوّق إلى المحفوظ، وهو ذاك الودّ الذي أراد تعميق خصوصيّته وإثارة التّفكير به.

حقّاً لقد نسج الشّاعر بتغيير رتب التّراكيب الفعليّة جماليّة لها وقعها وصداها في ميادين الشّعريّة.

ثانياً : التّقديم والتّأخير في التّركيب الاسمي :

يستند التّركيب الاسمي إلى علاقة إسناديّة قائمة بين المبتدأ والخبر، فالتّركيب الاسمي أساسه تآلف المسند والمسند إليه الاسميين، وهذا يحتاج إلى بناء متين أساسه الاعتماد على حركة الرّتب الاسميّة التي من المفروض أن تبدأ بالمبتدأ، ويليه الخبر، ثمّ المتممات والفضلات، لكنّ الشّاعر يخرق هذه الرّتبة في كثير من قصائده، نحو قوله [32] :

اليومَ أنْت بخيرٍ والخير عندك عادهْ

نجد تقديم الظّرف (اليوم) الذي من حقّه أن يأتي في نهاية التّركيب الاسمي المكوّن من المبتدأ (أنت) على الخبر (عادة) ليبرز أهميّة مكانة الخير لدى المخاطَب، فهو مخاطَب إيجابي؛ لأنّه مخاطَب مفعم بذاك الخير ومحاط به.

[30] **ديوانه ، ص235 .**

[31] **ديوانه ، ص230 .**

[32] **ديوانه ، ص87 .**

والجمل الاسميّة تنحو نحو الثّبات، لكنّ الشّاعر عندما يقوم بتغيير الأجزاء البنائيّة لتلك الجمل يجعل ذاك الثّبات نابضاً بالدّلالات نحو قوله [33] :

لَكَ في الأرضِ دُعَاءٌ سدّ آفاقَ السَّمَاءِ

فقد قدّم الشّاعر شبه جملة (لك) على المبتدأ، ولم يكتفِ بذلك بل قدّم شبه جملة أخرى (في الأرض) على المبتدأ نفسه، فكان هذان التّقديمان إشعارين

بأهميّة المقدّم، فتقديم (لك) يبرز مكانة المخاطَب، وتقديم (في الأرض) يبرز مكان تلك المكانة، لكن المبتدأ المؤخّر (دعاء) يوحي بالتّشويق إلى الاستحقاق الذي يملكه المخاطَب في الأرض.

إنّ الدّعاء الذي يتحدّث عنه الشّاعر ليس دعاءً عاديّاً، بل هو دعاء (سدّ آفاق السّماء)، فهو دعاء عظيم له صداه في الحياة، وله أثره لدى الشّاعر الذي حاول بوساطة تقديم شبهي الجملة إبراز الإطار الزّمكاني لذاك الدّعاء المفعم بالحبّ والأمل والاعتراف بالانفعال الصّادق.

إنّ البهاء زهير شاعر حقيقي، له إبداعه، وقدرته على الرّسم بالكلمات، لكنّه رسم كان في كثير من سياقاته متّخذاً آليّة تبديل الرّتب أو تغيير سياقها في التّركيب، وهذا ما نراه في قوله[34]:

عندي لكم ذاك الوفا ءُ المستمرُّ على الوَلاءِ

فقد قدّم شبه الجملة الظّرفي (عندي)، وشبه جملة (لكم)، على المبتدأ (ذاك) المتمثّل في اسم الإشارة المحيل على الوفاء، فهو وفاء مستمرّ متتابع لا توقفه ظروف، ولا تحطّمه أقدارٌ، وهذا يشوّق إلى ذاك الوفاء وتبصّر حاله.

ونجد التّقديم والتّأخير في قول البهاء [35] :

وللنّاس عاداتٌ وقد أَلِفُوا بهَا
لها سُنَنٌ يَرْعَوْنَها وَفُروضُ

فقد قدّم الخبر (شبه جملة للنّاس)، على المبتدأ (عادات) ليبرز أهميّة المقدّم، ويشوّق إلى مالَهم (للنّاس عادات)، ثمّ أعاد النّمط الرّتبي ذاته في قوله: (لها سنن) فقدّم شبه جملة (لها) على المبتدأ (سنن)، جاعلاً من (لها) شبه جملة في محل رفع خبر، وجاعلاً (سنن) مبتدأ مؤخّراً، بهدف إثارة خيال المتلقّي إلى تلك السّنن.

ونجد هذه الخروقات في الرّتب المألوفة لبنات بناء تعمّق جماليّة المعنى، كما في قوله [36] :

إنْ غبتَ عنّي أو حضرْ تَ فلست عن عيني تغيبُ
إنّي لأعلم أن ظنّـ ـي فيكَ ظَنٌّ لا يَخِيبُ

[33] **ديوانه ، ص18 .**
[34] **ديوانه، ص19 .**
[35] **ديوانه ، ص149 .**
[36] **ديوانه ، ص36 .**

فقد قدّم الشّاعر شبه جملة (فيك) على خبر (ظنّ)، ليبرز جماليّة الاحتواء اليقيني لذاك الظّن، علماً أنّ الظّن نقيض اليقين، لكنّها جماليّة ائتلاف الأضداد لإعطاء نسغ دلالي جميل لأنّ الائتلاف في الاختلاف.

فالشّاعر يعلن أنّ ظنّه بالمحبوب لا يغيب، وهذا يعطي دلالة اليقين، فالظّن في هذا السّياق بات يقيناً؛ لذا قدّم (فيك) ليثبت الاحتواء اليقيني.

ويتّخذ التّقديم والتّأخير منحى جمالياً آخر، ولهذا المنحى أغراض دلاليّة أخرى تتنوّع وتتعدّد بتعدّد الدّلالات التي يفضي إليها كل بيت، ولاسيّما أنّ البهاء حاول جعل التّقديم والتّأخير لغة أخرى من اللغات التي رسم بها دلالته؛ إنّها لغة شعريّة لا يحقّقها الانزياح التّركيبي فحسب، بل يحقّقها الجوّ الدّلالي العامّ الذي يشعّ بحضور الذّات الشّاعرة ويجعل من كلّ تقديم أو تأخير صوتاً روحيّاً يصرّح به الشّاعر عن إحساس عميق يتملّكه.

ونجد الأمر ذاته في قوله [37] :

أمحمّدٌ والجودُ مِنْكَ سَجيّةٌ يَهنِيكَ طيَب(طيّب بالتشديد) ذكرها يَهْنيكَا

يمثّل تقديم شبه الجملة (منك) على الخبر (سجيّة) آليّة من آليّات جذب انتباه القارئ إلى تلك السّجيّة، ويشوّقه إلى الخبر، إنّه تشويق وظيفي وجداني معاً، لكنّه أيضاً مترافق مع انزياح تركيبي تقدّمت فيه الفضلة على الطّرف الإسنادي.

إنّ آليّة التّقديم والتّأخير تجعل من ثبات الدّلالة ثباتاً ولاّداً، وهذا الأمر يزيل من الثّبات جموده ويعطيه دلالة أخرى، فيصبح ثباتاً للحالة وتطوّراً في مستوياتها، أي ثبات الجود في المثال السّابق، وتطوّراً في درجته.

لقد أجاد البهاء في رصد حركة الرّتب في الجمل الاسميّة، وكان قادراً على التّفاعل معها تفاعلاً خلاّقاً؛ لذا لم يقع في مصيدة الجمود، بل كان مبدعاً في رسم انزياحات دلاليّة جديدة أغنت سياقه الشّعري وجعلته يبحر في المعاني.

وأحياناً نجد الشّاعر يخترق دلالة التّقديم والتّأخير إلى إبراز الأهمية وإثارة التّشويق، ويدخل إطار التّوكيد كما هو الحال حين يقدّم الضّمائر الموظّفة مثل قوله يمدح قوماً [38] :

قومٌ همُ في البيد خيرُ سُراتِها حسباً وهم في الدّهر خير سَراتِه

فالمبتدأ قوم، والخبر (خير) كانا مسنداً ومسنداً إليه في تركيب اسمي، لكنّه قدّم ضمير الغائب الذي يؤكّد خصال هؤلاء النّاس فقال (قوم هم في البيد خير سراتها)، ثمّ نجد تقديم شبه جملة (في البيد) على الخبر ليؤكّد بطولة القوم؛ لأنّ البيداء تشير إلى الشّجاعة والقوّة والمروءة وأصالة الانتماء العربي.

ولم يكتفِ الشّاعر بذلك، بل عاد للاستعانة بتغيير مماثل لترتيب البناء التّركيبي الاسمي في الشّطر الثّاني حين قدّم شبه جملة (في الدّهر)، على الخبر (خير) معلناً أنّ القوم الذي يمدحه لا مثيل له، فكان التّقديم لإبراز التّمييز والتّفوّق والتّفرّد.

وأحياناً كثيرة يتّخذ التّقديم والتّأخير في الجمل الاسميّة طابع التّحديد، إنّه تحديد يجعل القارئ أمام مشهد شعوري متين، وهذا ما يمكن الوقوف عليه في البيتين الشّعريين الآتيين اللذين يقول فيهما [39]:

[37] **ديوانه ، ص191 .**

[38] **ديوانه ، ص45 .**

[39] **ديوانه ، ص50 .**

هو حظّي قد عرفْتُهْ لم يَحُلْ عمَّا عهدتُهْ
غيرَ أنّي ليَ في الحـ(بْ بِ) طريقٌ قد سلكتُهْ

فقد قدّم شبه جملة (لي) على المبتدأ طريق، لبين ذاتيّة تجربته ويبرزها، إذ كانت جملة (لي في الحبّ طريق) جملة اسميّة في محل رفع خبر أنّ، وهذا الخبر حوى تقديماً وتأخيراً، ومن سمات الخبر الإخبار، فالشّاعر أراد الإفصاح عن امتلاكه سبل الحبّ، لذا قدّم (في الحبّ) على الخبر ليوضّح الأمر الذي أشرنا إليه. وفي قوله [40] :

أنا في الحبِّ غَيُورٌ ذاك خُلْقِي لا عَدِمتُهْ

تعميق لصورة الشّاعر المحبّ، ولاسيما أنّه قدّم مجدّداً شبه جملة (في الحب) على الخبر ليعطي الوظيفة السّابقة ذاتها، وهذا يجعلنا أمام شاعر مرهف حسّاس مليء بالحبّ.

وفي كثير من الأحيان يلجأ الشّاعر إلى التّقديم والتّأخير لإعطاء حالة يقينيّة يسعى بوساطتها إلى ترسيخ فكرة يريد إيصالها إلى المتلقّي، محاولاً شحن عاطفة هذا المتلقّي وإضاءة انفعاله بكثير من شذرات الإحساس والعاطفة، نحو قوله [41] :

لك لا أشكّ قضيّةٌ أنَا سَائِلٌ عنها وباحِثْ

لقد قدّم الشّاعر شبه جملة (لك) على المبتدأ (قضيّة) ثمّ قدّم جملة (لا أشكّ) على المبتدأ أيضاً ليؤكّد تلك القضيّة واهتمامه بها؛ إذ أفاد التّقديم والتّأخير في الجملة الاسميّة السّابقة إضفاء مسحة توكيد وترسيخ للمعنى.

ويبدو الشّاعر في سياق تقديمه (لا أشكّ) الاعتراضيّة بين المبتدأ والخبر أنه يريد تأكيد سياق الاهتمام بالخبر المقدّم (لك) وإعطاء يقينيّة اهتمام الشّاعر بقضيّة المخاطب.

وفي كل تقديم يحاول الشّاعر أن يقدّم مشهداً شعوريّاً متيناً، إنّها متانة الإحساس حين ينبع صادقاً في مواجهة تحديّات الحياة وظروفها، ويجعل منها نسغاً من نسغ الرّوح، وهذا الأمر يضفي على مشاهد التّقديم والتّأخير عبقاً خاصّاً في منجزات الشّاعر المخضرم بهاء، إنّه الشّاعر الذي استطاع تطويع التّقديم والتّأخير لخدمة سياقاته البنائيّة الشّعريّة وتعميق دلالاته، نحو قوله [42] :

كِتابٌ أتانِي من حَبِيبٍ وبينَنَا
لطول التّنائي برزْخٌ أيّ بَرْزَخ

إنّ المقدّم في البيت الشّعري السّابق هو الخبر (بيننا) والرّابط السّببي (لطول التّنائي)، وكان المؤخّر المبتدأ (برزخ)، فقد قدّم شبه الجملة المكوّنة من ظرف المكان (بين) والمضاف إليه (نا) على المبتدأ ليبرز أهميّة مكان ذاك البرزخ،

[40] **ديوانه ، ص50 .**
[41] **ديوانه ، ص53 .**
[42] **ديوانه ، ص67 .**

بل أهميّة طرفي ذاك البرزخ؛ لأنّ الظّرف (بين) يفيد البينيّة والتّوسّط بين أمرين هما الحبيب ومحبوبه، ولم يشأ الشّاعر أن يجعل هذا المكان برزخاً عاديّاً، بل أضفى عليه سبل الوضوح، فعلله، وأشار إلى سبب ذاك النّأي بين المحبوب والمحبوب عليه، فقدّم شبه الجملة التّعليليّة (لطول التّنائي)، وهذه العبارة مكوّنة من اللام الجارّة التّعليليّة واسمها المجرور والمضاف إليه الذي قام بتحديد ذاك الطّول، وإبراز الفراق الممتدّ بين المحبوبين، هذا الفراق الذي جسّد حالة التّنائي، ورسّخ البعد، فكان تأخير البرزخ تأخير جمالي وظيفي معاً أشار إلى عمق الهوّة بين المحبوبين، ولنا في قول الشّاعر [43]:

كأنَّ نسيمَ الرَّوْضِ عند قُدُومِهِ

سرَى بقميصٍ بالعبير المُضَمَّخِ

مثال آخر يشي بفاعليّة التّقديم والتّأخير؛ إذ نجد تقديم الظّرف (عند) على الخبر المتمثّل بالجملة الفعليّة (سرى)، وهذا ليشير إلى أهميّة لحظة قدوم نسيم الرّوض وأثرها، والتّشويق إلى هذا الأثر المتمثّل بفعل الإسراء (سرى)، المفعم بعبق الأريج وجاذبيّته.

لقد أبرز الشّاعر علاقته الواضحة بمحبوبة، فأحب أن يرصد تلك العلاقة بألوان الجمال، إنّه جمال الرّوح حين يشعّ في ألق العاطفة، وهذا دأب البهاء في مشاهده الغراميّة، بل في مشاهده العاطفيّة؛ إذ نراه يجملها بنبض إحساسه الصّادق، وربّما لن نغالي إن قلنا بأن البهاء كان في استعماله آليّة التّقديم والتّأخير، كجرّاح يعمل مبضعه في جسد التّركيب ليجمّل تفاصيله أكثر، ويهبها سحراً وإشراقاً، كما في قوله [44] :

ينقضِي يومٌ فيومٌ في حديثٍ لا يُفيدُ

فمَتَى اليومُ الَّذِي أبـ لُغُ فيهِ ما أريدُ!

لقد قدّم الشّاعر اسم الاستفهام (متى) وهذا الأمر طبيعي؛ لأنّ أسماء الاستفهام لها الصّدارة في جملتها، ثمّ أخّر المبتدأ (اليوم) ليشوّق إلى اللحظة المستفهم عنها، إلى الزّمن المنتظر، إلى تلك المساحة الزّمانيّة التي يحقّق فيها الشّاعر آماله.

وتقديم أسماء الاستفهام ليس أمراً غريباً، بل هو أساس من أسس النّحو السّليم الذي يُعدّ رتبة محفوظة، لأنّ لها صدارتها، فاسم الاستفهام يتقدّم جملته، لكن تأخير ما يليه يجعل المحور الاستفهامي أداة تشويق إلى المؤخّر.

ويوحي تقديم اسم الاستفهام بكثير من التّرقّب إذ يشير إلى التّساؤل عن موعد ما (متى)، ولاسيّما حين يقترن هذا الوعد باسم زمان يشير إلى ماهيّة زمانيّة منتظرة (اليوم) فكان السّياق (من اليوم) بناءً اسميّاً استفهاميّاً مستنداً إلى التّقديم والتّأخير الموحيين بجماليّة دلاليّة، وفي قوله [45] :

إلى كَم أداري أَلْف واشٍ وحاسدِ

فمنْ مرشدي مَنْ مُنجِدي مَنْ مُسَاعِدِي؟

[43] **ديوانه ، ص67 .**

[44] **ديوانه ، ص76 .**

[45] **ديوانه ، ص83 .**

يتراءى اسم الاستفهام مخضّباً بتلك الجماليّة في قوله: (فمن مرشدي، من منجدي، من مساعدي)؛ إذ جاء اسم الاستفهام (مَنْ) الدّال على العاقل، في محل رفع خبر مقدّم، وكان ما تلاه من الأسماء الآتية: (مرشدي، منجدي، مساعدي) في محل رفع مبتدأ مؤخّر، وهذا الأمر شوّق إلى ما تأخّر، وأبرز أهميّة ما تقدّم.

الاستنتاجات والتوصيات

بعد هذه الدّراسة توصّل البحث للنّتائج الآتية:

- يحدث التّركيب الفعلي أثراً يوحي بالحركة، لكن البهاء عندما قام بتغيير رُتب ذاك التّركيب زاد تلك الحركة عمقاً وتأثيراً؛ لأنّه جعلها حركات مُستمرّة مُتلاحقة أوحت بالصّراع الوجودي الذي يعيشه، ورغبة في ضخّ الحياة المُستمرّة في وجوده.
- للتّراكيب الاسميّة إيحاء بالثّبات، لكنّ تغيير الرّتب الذي استعمله البهاء زهير في قصائده جعل تلك الجُمل ذات حركيّة خاصّة، وأخرجها من إطار الجمود.
- وظّف البهاء التّقديم والتّأخير لخدمة معانٍ كثيرة، لكن ما ميّز ما قام به من ذاك التّقديم والتّأخير أنّه منسجمٌ مع بوتقة الرّؤى التي يُحسّها بعيداً عن المعياريّة البيّغائيّة التي ابتعد عنها في كثير من قصائده رغبة في الانعتاق من القيود.
- شكّلت أشباه الجُمل ريشة بارعة رسم بها البهاء انزياحاته، مُستفيداً من دلالة مكوّنات تلك الأشباه، خالقاً أفقاً دلاليّاً ثرّاً.
- أفاض البهاء في خرق اللغة المعياريّة، ولجأ إلى الانزياحات في تراكيبه، محمّلاً تلك الانزياحات معالمَ الواقع والحلم، فلاءَمت انزياحاته، وما قام به من تغيير في رتب تراكيبه في إعطاء المُتلقّي صورة واضحة عن الجوّ الانفعاليّ المشحون الذي يعيشه.

ويمكن القول: إنّ التّقديم والتّأخير في شعر البهاء زهير كان أسلوباً من أساليب التّعبير عن إبداعه وعبقريّته وشعريّته.

المصادر والمراجع

1- بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، د. صلاح فضل ، مجلّة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ع164 ، أغسطس – آب ، 1992 م .

2- البلاغة والأسلوبيّة ، د. محمّد عبد المطّلب ، الشّركة المصريّة العامّة للنّشر ، لونجمان ، القاهرة – مصر ، 1994 م .

3- بنية اللغة الشّعريّة ، جان كوهن ، ترجمة محمّد الولي ومحمّد العمري ، دار توبقال للنّشر ، الدّار البيضاء – المغرب ، ط1 ، 1986 م .

4- البيان في روائع القرآن ، د. تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1993 م.

5- الجملة الإنشائيّة بين التّركيب النّحويّ والمفهوم الدّلاليّ، أطروحة دكتوراه إعداد غيّاث بابو ، إشراف أ. د. إبراهيم البب ، جامعة تشرين ، اللاذقيّة ، 2009 م .

6- الخصائص ، ابن جنّي ، تحقيق محمّد عليّ النّجّار ، المكتبة العلميّة ، د.ت .

7- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، قرأه محمود محمّد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط5 ، 2004 م .

8- ديوان البهاء زهير، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، محمّد طاهر الجبلاوي، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط2.

9- شعريّة الانزياح بين عبد القاهر الجرجاني وجان كوهن ، رسالة ماجستير إعداد سعاد بولحواش ، إشراف أ. د. محمّد زرمان ، جامعة الحاج لخضر – باتنة ، الجزائر ، 1433 هـ – 2012 م.

10- شعريّة العدول عن أصل التّركيب في روميّات أبي فراس الحمدانيّ – دراسة بلاغيّة ، رسالة ماجستير إعداد ميساء محمّد خالد شيخ خميس، إشراف أ. د. مصطفى عبد الرّحمن نمر، جامعة تشرين، اللاذقيّة ، 2020-2021 م.

11- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط3 ، 1408 هـ – 1988 م .

12- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر، بيروت– لبنان، د.ت .

13- المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، مكتبة الشّروق الدّوليّة ، القاهرة – مصر ، ط4 ، 1425 هـ – 2004 م .

14- مفتاح العلوم ، السّكّاكي ، تح: نعيم زرزور ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط1 ، 1983 م.

List sources and references

1- Rhetoric of Discourse and Textual Science, Dr. Salah Fadl, World of Knowledge Magazine, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, No. 164, August 1992.

2- Rhetoric and Stylistics, Dr. Muhammad Abdel Muttalib, Egyptian General Publishing Company, Longman, Cairo - Egypt, 1994 AD.

3- The Structure of Poetic Language, Jean Cohen, translated by Muhammad al-Wali and Muhammad al-Omari, Toubkal Publishing House, Casablanca - Morocco, 1st edition, 1986 AD.

4- The statement in the masterpieces of the Qur'an, Dr. Tammam Hassan, Alam al-Kutub, Cairo - Egypt, 1st edition, 1993 AD.

5- The structural sentence between grammatical structure and semantic concept, doctoral thesis prepared by Ghayath Babu, supervised by A. Dr.. Ibrahim Al-Bab, Tishreen University, Latakia, 2009 AD.

6- Al-Khasa'is, Ibn Jinni, edited by Muhammad Ali Al-Najjar, Al-Maktabah Al-Ilmiyyah, D.T.

7- Evidence of Miracles, Abdul Qaher Al-Jarjani, read by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Khanji Library, Cairo - Egypt, 5th edition, 2004 AD.

8- Diwan al-Baha Zuhair, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Muhammad Taher al-Gabalawi, Dar al-Ma'arif, Cairo - Egypt, 2nd edition.

9- The Poetics of Displacement between Abdul Qahir al-Jarjani and Jean Cohen, a master's thesis prepared by Souad Boulhawash, supervised by A. Dr.. Muhammad Zarman, Hajj Lakhdar University - Batna, Algeria, 1433 AH - 2012 AD.

10- The poetics of abandoning the origin of composition in the Romans of Abu Firas Al-Hamdani - a rhetorical study, a master's thesis prepared by Maysaa Muhammad Khaled Sheikh Khamis, supervised by A. Dr.. Mustafa Abdel Rahman Nimr, Tishreen University, Latakia, 2020-2021 AD.

11- Al-Kitab, Sibawayh, edited by: Abdul Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo - Egypt, 3rd edition, 1408 AH - 1988 AD.

12- Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Dar Sader, Beirut, Lebanon, d.d.

13- Intermediate Dictionary, Cairo Arabic Language Academy, Al-Shorouk International Library, Cairo - Egypt, 4th edition, 1425 AH - 2004 AD.

14- The Key to Science, Al-Sakaki, ed.: Naeem Zarzour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 1983 AD.